التحول الثقافي والفكري لمنطقة فورارة في الجنوب الجزائري خلال القرن 17/هـ 17م بحث في أسباب التحول واستخلاص لنتائجه

The cultural and intellectual transformation of the region of Gourara from the south of Algeria during the eleventh century AH / 17 AD Research the causes of transformation and draw conclusions

أ. محمد الفاطمي، جامعة تلمسان - الجزائر

ملخص: شهدت منطقة فورارة من الجنوب الجزائري خلال القرن العاشر الهجري حركية استقرار وتحضر جراء التحولات الاقتصادية التي طرأت على طرق القوافل التجارية في الصحراء، إذ أصبحت المنطقة محور تتقاطع فيه المسالك التجارية الهامة التي تعبر الصحراء من وإلى بلاد السودان، فاستقطبت التجار والعمال وكذا العلماء الذين استقروا ووضعوا لبنة حركة فكرية غيرت واقع المنطقة، حتى توارثت أسر بكاملها تقاليد العلم ورعاية أهله واشتهرت به كأمثال أولاد القاضي بأولاد سعيد قرب تيميمون، والشيخ أبو القاسم بن الحسين الجراري، والشيخ موسى التسفاوتي، كما ربطت المنطقة علاقات ثقافية مع مختلف الحواضر المحلية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: منطقة فورارة، التحول الثقافي، الأسر العلمية.

Abstract: Gourara from the south of Algeria within the vast territory of Touat, By the ninth century AH, the movement of urbanization and stability in the region, which was the locus of the invaders, began to flourish in the desert road linking the north and the south to and from Sudan. Controlling the region controls the nerve of the desert trade, and the axis of exchange. As a result of the scientific movement, it was a sign of the emergence of the scientific movement in the region, that the children inherit the inheritance of the fathers, and that science becomes a tradition in some scientific families of gourara as the example of oulad-elquadi in Awlad Said, Sidi Hadji Belkacem, Sidi Moussa El-Tasfawati and Abdelkabar Al-Matarafi.

Keywords: Gourara, scientific movement, scientific houses.

مقدمة:

شهدت منطقة قورارة الواقعة جنوب الجزائر تحولات تاريخية هامة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، سيكون لها أثر في حدوث تحول فكري أدى إلى ظهور حركة علمية مزدهرة مع حلول القرن الحادي عشر الهجري، وقد كان لمجموعة من الأسر دور بارز في قيادة هذا الحراك العلمي، إذ استغرق الأمر زمتا طويلا لإظهار الشكل الحضاري الجديد للمنطقة، لتتبع من خلاله أنوار التنافس العلمي، زالت من خلاله آليات الفرقة والصراع المجال لتفسح المجال لصيرير الأقاليم وحناجر العلماء، وتغيرت نظرة الآباء تجاه أبنائهم، بدفعهم إلى التعليم أسوة بمن تقدموا الصفوف، ونالوا المفاز، وشدوا الرحال إلى بقاع مختلفة طلبا للعلوم والمعارف.

فما هي آليات حدوث هذا التغيير الذي قلب واقع المنطقة من ركود الصراع والشحناء، إلى عقب التنافس العلمي والمجامع الفقهية وحلقات الدرس، حتى أصبح الشرف مقرون برتب العلم التي يتنافس فيها الشريف والغني والفقير على حد سواء؟ وللإجابة عن الإشكالية الرئيسية ندعمها بالأسئلة التالية:

أين تقع منطقة قورارة وما أصل تسميتها وواقع بنيتها الاجتماعية؟

ما هي أهم بوادر ظهور الحراك العلمي بالمنطقة؟

ما هي أهم نتائج هذا الحراك الفكري؟

أولاً. قورارة المجال الجغرافي والوسم التاريخي:

يطلق المصطلح على المنطقة الواقعة في المجال الجغرافي بين تيلكوزة كأقصى نقطة من الشمال الشرقي، إلى قصر باحمو من منطقة ظلمين، أقصى نقطة غرباً ونحو أوفران جنوباً، (A.G.P. Martin, 1908, p245) على الحدود من واحات تسابيت التي تشكل بداية توات، (عبد الرحمان بن خلدون، 2000، ص77)، وتضم المنطقة كل من زاوية الدباغ، تميمون، أولاد سعيد، وشروين، وظلمين، وأولاد عيسى، وأوقروت، والمطرفة، وفاضل المسافة بين منطقة وأخرى في نحو 70 كم، أما تسميتها التاريخية مرتبطة باستقرار السكان بالمنطقة، حيث مارسوا الزراعة في مناطق العرق بين كثنان الرمال، لسهولة الحصول على الماء لقرية من السطح، ووجود الينابيع، فغرسوا النخيل، وزرعوا المحاصيل في مناطق ضيقة متفرقة خاصة، أطلق عليها أسم أفروا، ومنها ظهر أصل التسمية من المنطوق الزناتي، وتعني التجمع، جمعها تيقورأوين أي التجمعات، ومع مرور الوقت تم تداول الكلمة وحورت إلى تيقورارين.

ثانياً. بوادر تغير الواقع الثقافي لمنطقة قورارة إبان القرن 17/هـ 17م:

يعتبر القرن الحادي عشر الهجري فترة ازدهار وانتعاش فكري للمنطقة، ولأن لكل شيء سبب، فلا بد لحركة بهذه الأهمية التي غيرت واقع منطقة بأكملها خلال فترة زمنية ليست بالقصيرة عوامل أسهمت في ذلك، ووفرت الأسباب الكافية لهذا التغيير التاريخي الذي طال الواقع الثقافي والاجتماعي، والسياسي للمنطقة، وغير مجرى تاريخها، فالتغيرات السياسية المتسارعة أسهمت بشكل مباشر في تفعيل دور المنطقة كمركز حيوي اقتصادي استقطب التجار والسياح، وخلق الوفرة في المنتج والسلعة، ناهيك عن توفر العمل فكانت قبلة المحتاج، وفي نفس الفترة ازدهرت الحركات الصوفية بالمنطقة، وتكدست الزوايا والمدارس التعليمية التي تأوي المتعلمين وتوفر المعلمين، ودائرة الجذب ظلت تتسع بالمزيد من طلبة العلم، فاستقر المعلمون وامتلكوا الدور والبساتين، ومن الطلبة من تحول بعد إتمام دراسته من متعلم إلى معلم في مكانه، بعدما استهوته المنطقة لاستقرارها، ووفرة مورد العيش بها، وازدهرت حركة النسخ بظهور الناسخين المحليين، ناهيك عن تجارة الورق والحبر المرتبطة بذلك، حتى أصبحت المدارس وملحقاتها من زوايا الاستقبال والإطعام تقليدا لا تخلو منه منطقة مهما صغرت، بل باتت المناطق تنافس بعضها، وحتى أبناء المدارس، فمن المدرسة الواحدة تنفرع عدة مدارس، كما حدث مع

المدرسة البوبكرية من قصر أولاد سعيد، والتي تفرعت منها مدارس بدرين وتزليزة إذ تبعد الثانية عن المدرسة الأم نحو 20 كلم، أما الثالثة تأسست على بُعد 70 كلم عن المدرسة الأم الأصلية، وعلى شاكلتها تفرعت المدرسة الجنتورية للشريف الحاج لحسن، وتأسست نظيرتها من أحفاده بقصر كالي على بعد 40 كلم، وظلت كل مدرسة تنافس وتباهي الأخرى بقوة الاستيعاب، وتنوع العلوم، وقدرة المعلمين في التعاطي مع مختلف العلوم، وسعة مكتباتها وتنوع كتبها وأهميتها، وقوة أوقافها ومواردها المادية، كلها عوامل سننترق لها بالشرح والتوضيح لإبراز دورها في تفعيل وظهور الحركة العلمية بالمنطقة بداية من القرن العاشر الهجري وازدهارها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ومن أبرز بواذر وأسباب التحول الثقافي والفكري للمنطقة ما يلي:

1. **فورارة المرفأ الحضاري على طريق القوافل:** تقع المنطقة على مفترق طرق تربط أطراف الصحراء الكبرى الشاسعة، وتربط الشمال بالجنوب، فالعبور من مدن الجزائر وتلمسان وورقلة وبني عباس نحو بلاد توات ومنها إلى السودان يتم عبر مسلك وحيد هو منطقة فورارة، وحتى سكان مدن المغرب الأقصى كمرآكش، فاس و تفيلا لت يعبرون من خلالها في رحلاتهم التجارية، والحجبية، والعلمية، كما تحط القوافل بها لعرض مقتنياتها والتزود بحاجياتها، ومما جعل المنطقة سوقا تجارية مزدهرة توفر للوافدين منتجات التمر والجلود والصوف والقمح والخضروات الجافة، ولابن خلدون في ذلك إشارة إلى أن فواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين ووركلان، (ابن خلدون، 2000، ص93) بالإضافة إلى المنسوجات الصوفية واللحوم المجففة والأعلاف والملح، كما عرفت صناعة الحدادة رواجاً كبيراً في المنطقة وتلقى منتجاتها إقبالاً واسعاً، تنتج الأزاميل والمطارق والسكاكين والمسامير التقليدية، ناهيك عن صناعة الحبال بليف النخيل، وقد كانت في المنطقة عدة أسواق كبرى مزدهرة أهمها سوق تيميمون وكان يومي، وأسواق أولاد سعيد وأولاد عيسى وأوقروت (عبد المالك الصوفي، 2016، مقابلة شفوية)، بينما تجلب إليها القوافل منتجات بلاد السودان كالذهب والأخشاب، ومن مصر وتونس والحجاز يجلب الحجاج الورق من دكاكين الوراقين، ويعتبر الورق سلعة رائجة مطلوبة بشدة ومربحة، حيث لم يرد ما يدل على أن المنطقة شهدت هذا النوع من الصناعة، وكانت الكتابات والرسائل تكتب على الجلود، وكان الحجاج يتزودون منها في ذهابهم بالطعام والماء وفي إيابهم يقتنون الهدايا، والمرور بالمنطقة ليس خياراً بل ضرورة بحكم صعوبة المسالك الصحراوية وخطورتها، بينما كانت المنطقة تنعم بالأمن نسبياً مقارنة بطرق أخرى، لأنها تجمع بين وفرة الماء ووجود الساكنة والعمران، وتمر عبرها الكثير من القوافل وهو ما يقلل خطورة التعرض لسطو من طرف اللصوص الذين يتحينون فرص الطرق الخالية لقلة العبور من خلالها بعيداً عن مراكز المدن العامرة المحروسة، التي كانت تعرف بطرق الصعاليك (عبد المجيد القدوري، 1991، ص94) وهي طرق مختصرة لكنها خطيرة، فالأفضل هو زيادة طول المسافة وضمان الأمن، خير من تقصير الطريق والمغامرة أمام تهديد اللصوص، وقد لعب التبادل التجاري دوراً فعالاً في ربط المنطقة بمناطق مختلفة في الصحراء والتل، فموقع المنطقة الجغرافي الواقع على طريق القوافل الرابط بين مراكز علمية مختلفة كجاية وملبانة وتلمسان نحو تمنطيط وتوات وبلاد السودان، كان يتوسط شبكة من الطرق التي تتقاطع كلها بفورارة نظراً لظروف الموضع الجغرافي، ويعتبر واد أمقيدن المسلك الأكثر شهرة، ويتوفر على آبار الماء المعروفة والمشهورة (عبد الله بن محمد العياشي، 2012، ص07)، والتي بدونها قد تهلك بسبب العطش (AGP Mrtin, 1903, p4).

2. **الرحلات العلمية والحجبية:** الرحلة عماد التعلم فمنطلق ظهور الحياة العلمية بالمنطقة مرتبطة أساساً بقدم كثير من العلماء الذين وفدوا إلى المنطقة، وبالمقابل الكثيرون انطلقوا منها إلى مناطق مختلفة طلباً للعلم داخل الإقليم التواتي وخارجه، فالشيخ الحاج بلقاسم الجوراري هاجر

إلى المغرب الأقصى بالضبط نحو بلدة تادلة وكذلك فعل كل علماء المنطقة لعدم وجود الجامعات، وممن وفدوا إلى المنطقة أعلام كان لهم دور فاعل في تحريك عجلة الحركة العلمية كأمثال الجنتوري وابن أَب المُرْمِري (ضيف الله بن أب المزمري، 1161هـ/1748م، ص13)، ونجد في الأثر الكثير من الرحلات العلمية كرحلة الشيخ عبد الكريم بن أحمد التزدياتي من بلدة أولاد سعيد، الذي رحل إلى فاس ودرس على يد أعلامها في القرويين وحصل السند العلمي المتصل بالشيخ محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي، يقول في شأنه حفيده عبد الرحمان الجوزي :

لِيهِ يَنْتَهِي الشُّبُوحُ بِالْعَدَدِ مِنْ أَهْلِ بَلَدَةِ تَوَاتٍ فِي الْمَدَدِ
فَهُوَ الَّذِي ارْتَوَى بِعِلْمِ فَاسٍ ثُمَّ اجْتَبَى تَعْلِيمَهُ لِلنَّاسِ (عبد الرحمان الجوزي ، د ت ن، ص15).

قلما نجد عالما لم يرحل طلبا للعلم خارج مسقط رأسه، وفي ذلك رغبة في التحصيل الجاد، وتحصيل العلم من علماء مشهورين في مدن بعيدة خارج الإقليم التواتي كتلمسان وفاس أو أبعد من ذلك نحو مصر وتونس، فمملكة الاستحكام والرسوخ في العلوم لا تتأتى إلا بالاحتكاك والمقابلة المباشرة فلقاء العلماء وتعدددهم يفيد في تنوع الاصطلاحات، ويصحح المعارف، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم،(عبد الرحمان بن خلدون، 2000، ص618) فليس من رأى كمن سمع، وترد الأبيات الشهيرة على اختلاف نسبتها بين الإمام علي كرم الله وجهه والإمام الشافعي رضي الله عنه وهي أبيات تردد كثيرا وتضرب كمثل لحت على السفر في طلب العلم:

تَعَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرِّجُ هَمَّ وَكَاتِبَابٍ مَعِيشَةَ وَعِلْمٌ وَأَدَبٌ وَصَحْبَةٌ مَاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ نُلٌّ وَعَرَبَةٌ وَقَطَعَ فَيَافٍ وَإِرْتِكَابِ الشَّدَائِدِ
ومن أشهر الرحلات الذي مرت بالمنطقة:

رحلة العياشي: رحلة حجية هامة جدا قام بها العياشي عبد الله بن محمد المغربي، عام 1072هـ/1662م، مر عبر فورارة، وخلال مروره عابراً إلى الحج استطاع هذا الرحالة المبدع أن يصف لنا واقع المناطق التي مر بها بشكل دقيق بنية الرحالة التي يصف بدقة شديدة تكاد تجعلك تعيش الواقع،(عبد المجيد القدوري، 1991، ص95)، وله فضل ذكر مجموعة من العلماء لا يمكن ذكرهم لولا رحلته، فلن يرد إلينا خبر العالم محمد بن إسماعيل الجراي الذي لم نسمع عنه شيئا إذ لولاه لكان صفحة منسية طويت مع الزمن ولا يرد إلينا خبرها، كما مر بالعالم الشيخ عبد الله بن طمطم بمنطقة الدغامشة التي تضم أولاد راشد والمطارفة وأولاد محمود، وذكر خبر الشيخ عمر بن صالح الأوقروتي،(العياشي عبد الله بن محمد، 2006، ص107) وكانت رحلته من أجود الرحلات توثيقاً لدقة وصفها، ومثانة سردها، وكثرة شواهدا حتى أنك تشعر بتصور الحدث وكأن العياشي لم يخرج للحج بل خرج لكتابة الرحلة.

رحلة ضيف الله بن محمد بن أَب المُرْمِري: رحلة علمية داخلية، سماها الرحلة إلى قبر الوالد قام بها صيف سنة 1161هـ/1748م لزيارة قبر والده المقبور بمقبرة سيدي عثمان بن تميمون، ويقول أنه جاء ليزور قبر والده، ويتواصل مع أصدقائه، وأثنى على أهل تميمون الذين حفظوا الود والاحترام اعتزازا بعالم فذ رحبوا له أشد ترحيب، حتى طاب له المقام، المهم في الرحلة قدرة ضيف الله على الوصف الدقيق إذ ذكر وقائع وأماكن هامة، وصفه بلغ من حيث الدقة تحديد المواقع على صغرها والحدود والمحيط، ووصف الشخص من سماته الجسدية إلى أفعاله وتصرفاته، ووصف حتى طبيعة المنتجات الزراعية، ونمط الغذاء، وشكل الطهي، فكانت رحلة هامة بامتياز (تم تحقيق الرحلة من طرف أحمد جعفري بالصافي، 2014، جامعة ادرار).

رحلة ابن أبي محلي: أما الرحلة الثالثة لابن أبي محلي هو أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي، رحلة علمية وحجية وسياسية، مر بالمنطقة قاصدا رحلة الحج، والترويج

لمشروعه السياسي، (عبد المجيد القدوري، 1991، ص ص 37، 51)، كان غزير الإنتاج شاعرا وكاتبا وقيها، لاذع اللسان، من رضي منه مدحه، ومن سخط يذمه أشدّ الذم، مزاجه متقلب لا يثبت على رأي، لكن كتبه تعتبر من أهم المصادر للفترة من واقع المعاشية، عاش الحدث ووصفه بنفسه، يتمتع بالدقة الزمنية، ومن كتاباته ذكر عدد هائل من العلماء والوقائع والأحداث التي أرخت للفترة، يذكر على سبيل المثال الشيخ الحاج بلقاسم الجراري، ويصفه بذي المواهب واللطائف، ذكره في نحو أربع مرات وصفه بالولي العارف السني وارث شيخه الأسمى الحاج أبو القاسم الجراري وشيخه المذكور سيدي علي بن إبراهيم، كما وصفه بالإمام المؤمن، ومرة أخرى ذكره بالقوة السني الأواه الجراري الخليفة الجزولي الطريقة، فلم نجد هذا الكم من المعلومات في مصدر آخر غيره، خاصة وانه عاصر الفترة، (ابن أبي محلي السجلماسي، مخطوط، ص258)، كما يؤرخ للغزو السعدي ويذكر مجئ أحمد بن الحداد من تيفورارين في حياة المنصور، ويؤرخ لمجي الشرفاء من تلمسان نحو المنطقة، ويسهب في ذكر خبر أسرة آل القاضي ذكرا مفصلاً، ينفرد بتفاصيل لم يذكرها غيره إلى حد ذكر أسماء دقيقة وأماكن يصعب الوصول إليها، كحديثه عن أعيان تيفورارين منهم أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد، وشيوخ حيا وشيخ ودغاغ علي بن موسى، يذكر الشيخ عباد صديق الحاج بلقاسم وتلميذه، تحدث عن ركب الحج، وعلماء مصر لذا تعتبر كتابات ابن أبي محلي من أهم المصادر لولا أن الكاتب تجنب الحياء في كثير من الأحيان لكونه صاحب مشروع سياسي(عبد المجيد القدوري، 1991، ص95)، كما كان يبحث عن الدعم في ادعاء المهادوية وكان مهووسا كثير الذم في حق من يعارضه، مادحا لمناصريه الذين انقلب عليهم بعدما عارضوه في مهادويته، وهو ما يجعل الشك يبتأنا في صدقية كتاباته والتحفظ في التعامل معها.

3. ظهور المد الصوفي: بساطة الإنسان بالمنطقة لم تمنعه من إكرام الضيف والعناية به، خاصة إذا كان من أهل العلم والتقوى، فكانت العناية بالعلماء وطلبة العلم غاية في الإكرام، وهو ما لفت انتباه رجال كثر من أهل العلم، الذين ضاقت بهم السبل أو رغبوا في الاستقرار والأمن والتمتع بالاهتمام الزائد الذي يصل أحيانا درجة التبرجل، خاصة إذا كان الوافد عالما وجيها، أو من النسب الشريف، وكان الإنسان الثوراري تواقاً للمعرفة، وقد شهدت المنطقة خلال القرن العاشر الهجري توافد عدد كبير من المتصوفين(رشيد بليل، 2008، ص357)، فعادة ما اعتبر الصوفيون البيئة القاسية مجالاً مناسباً لإظهار تعلقهم بالله سبحانه وتعالى من خلال التنازل عن متع الدنيا وزخرفها، إلى الاختلاء بالنفس مع ربها (عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، 2009، ص517)، ما سيعتبره الناس في مناطق كثيرة تشدداً وتحاملاً على النفس الضعيفة، فساكنة الصحراء بطبعهم الخشن ومعاشهم الصعب، جعلهم في العادة والطبع على مقاس ما يصبو إليه المتصوف، دون أن يرى نفسه غريباً، ناهيك عن سبل كسب العيش في الصحراء التي لا تكون إلا بمشقة وصعوبة، أما سبل المتع واللهو والفرجة محصورة، والمحيط الشاسع تذكره مجانية للتأمل والتدبر في عظمة الخالق سبحانه، إذ بمجرد أن تقف على تلٍ صغير ترى أمامك أفق لا يمكن حصره، يجعلك تحقّر نفسك مدركاً صغير حجمك أمام ما تراه عينك، كما يحسب للمد الصوفي علاقته المباشرة في كبح جماح الصراعات المتعددة التي كانت تعيشها المنطقة، فلم يرضخ سكان فورارة لغازٍ بالقوة، لكنهم ركنوا إلى رجال التصوف، وشهدت المنطقة بفضلهم بواذر الأمن والاستقرار(رشيد بليل، 2008، ص157).

4. ظهور المدارس التعليمية: كان لطبيعة النظام الذي منح متسعا من الحريات في مزاولة التعليم،(محمد عادل عبد العزيز، 1987، ص5) وإنشاء المدارس التعليمية التي انتشرت بربوع القطر الجزائري بسبب تعطش السكان لعلوم الدين والاعتراف بفضل الفقهاء والعلماء وهو ما دفع إلى إكرامهم وتيسير أمورهم، وكانت حق التعليم الحر مكفول للجميع بالمجان، وكان كل طفل

يجد مكانا لتعلم، والشائع أن كل متخرج مجاز كان يبدأ بالتعليم لصقل مواهبه وإظهار قدراته، وكان التعليم مصدر رزق جيد بسبب تخصيص أوقاف خاصة به في كل بلدة، فتجد نظام الإنفاق على التعليم من خلال الأوقاف، يشمل بناء المدارس، وترميمها، وتيسير نفقات التلاميذ، ودفع أجور المعلمين، بينما في القرى الصغيرة يتولى المعلم كسب رزقه من عمل خاص، أو يتولى أهلها ضمان نفقته من خلال تقديم إعانات أسبوعية تشمل بعض المال، والحب، والطعام لقاء تعليم أبنائهم، كل على حسب مقدرته، وفي حال وجود أوقاف المدارس يخصص له وقف دائم ينتفع من خلاله، وفي كل قصور المنطقة توجد هذه الأوقاف إلى يومنا هذا.(عبد الرحمان الجوزي، دت ن، ص442)

5. تأسيس الزوايا: يقال انزوى بنفسه بمعنى انفراد بخاصة نفسه، الزاوية في الاصطلاح هي مؤسسة دينية(محمد باي بن العالم، 2015، ص340)، اجتماعية، وثقافية، يقصده الطلبة والمريدون لتلقي العلم والتمكن في الطريقة على يد شيخ عارف، يلتزم فيها المتعلم المريد بنهج سبيل التحصيل القائم على حفظ القرآن أساسا كله أو بعضه، ثم التفقه في علوم الدين والدنيا، فضلا عن كسب أسس الطريقة على نهج شيخ تنتسب إليه الزاوية(الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1997، ص97)، وفي منطقة فورارة الزاوية لها مفهوم عامي يقصد بها تلك الدار التي تتولى رعاية إرث الشيخ المؤسس، مهمتها رعاية الزوار، وإكرام الضيف، ورعاية ملاحق الزاوية الموقوفة عليها، ينصب لها شيخ متفك عليه يرعى شؤونها، وتبقى الزاوية مرتبطة قدسيته بولي من الأولياء الصالحين، تخصص لتدريس العلوم الدينية، يأوي إليها الطلبة، والضيوف، والمريدين، لها نظام خاص يكاد يتشابه بين كل الزوايا، يتوارث الإشراف عليها حفدة المؤسس لها، وهناك من يقسمها صنفين: زوايا التعليم وهي التي تخصص دخلها للطلبة الذين يأتون بغرض التعليم وحفظ القرآن والتفقه في الدين بالإضافة إلى إيواء الضيوف وعابر السبيل كزاوية بدرين، أما الصنف الثاني هي زوايا الإيواء والضيافة لعابر السبيل والمريدين كزاوية سيدي الحاج بلقاسم، وهناك من يقسمها إلى ثلاث، زوايا علمية تقوم بدور التعليم، وزوايا اجتماعية تتولى إيواء الفقراء والمساكين وعابري السبيل، وتتولى مهمة الإصلاح بين الناس ونشر قيم التكافل، وأما النوع الثالث فهو الزوايا الصوفية التي تستقبل المريدين لتلقي الأوراد والطريقة(محمد باي بن العالم، 2015، ص339).

دور الزوايا في الحراك العلمي للمنطقة:

يرتبط تاريخ ظهور الزوايا في فورارة بظهور التصوف، وسميت العديد من القصور والقرى باسم زاوية، منها زاوية الحاج بلقاسم، زاوية بدرين، زاوية الدباغ، زاوية سيدي عمر بن صالح، وغيرها، تأسست الزوايا بالمنطقة لتؤدي دورها في عملية التعليم، وقد استطاعت تحقيق هدفها بسبب نظام التدريس المتبع فيها، حيث كانت تفتح أبوابها للمتعلمين يوميا من صلاة الصبح إلى الزوال، ومن بعد صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر، ومن بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء(التهامي غيتاوي، 2013، ص115)، مع تخصيص وقت الاستراحة بين الفترة والأخرى، ويستمر هذا النظام يوميا، باستثناء يومي الخميس والجمعة، الفترة الصباحية من كل يوم تخصص لكتابة ألواح الطلبة وتصحيحها من قبل المعلم، ثم تمرين الطلبة على قراءة اللوح من خلال ترتيل ما هو مكتوب فيها أكثر من مرة، في حين خصصت الفترة المسائية لاستظهار ما تم حفظه على المعلم، أما الفترة الليلية فاقترنت على قراءة حزبين من القرآن الكريم، وشيئا من متون الفقه واللغة والمدح والعقيدة، وقد ساعد هذا النظام على تخرج العديد من الطلبة، ممن حفظوا القرآن الكريم كما ساهم في تعليم الأميين، وحفظهم من خلال المواظبة على قراءة الحزب اليومي(محمد باي بن العالم، 2015، ص324)، أما باقي العلوم الأخرى، من فقه ونحو وصرف، فقد كان الطالب يدرسها بعد استكمال حفظ القرآن في المرحلة الأولى، وبعد ذلك ينتقل الطالب

لدراسة علم الحديث والتفسير، وقد يتعدى دور الزاوية التعليم لتشمل مجالات أخرى كالمساهمة الاجتماعية لدعم الفقراء، والحث على التكافل والتعاون في مختلف الأنشطة كتتنظيم الأعراس والاحتفالات الدينية والوعظ، كما كانت تعمل على غرس قيم التضامن والتكافل وفض المنازعات بالصلح ودعم نظام الجماعة، فضلا عن تعبئة أفراد المجتمع للجهاد والمقاومة ضد الغزاة، ولزوايا دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية والنحو وفقه اللغة.

6.الوقف أهميته الاجتماعية ودوره التعليمي : يعتبر الوقف من أهم دعائم النهوض بالحركة العلمية في المنطقة، تنوعت أشكاله في المنطقة في جميع التخصصات، فمنها ما هو مختص بتحقيق الأمن والسلامة العمومية، وذلك كحبس الزاوية بادريان الذي يخصص أجرة لكل من يقوم على نظافة أزقة القصر، ويقتل العقارب المتسللة ليلاً إلى محيط تواجد السكان، ومنها ما هو مختص بالتكافل الاجتماعي لإعانة الفقير الذي ألم به خطب كماتم أو فرح وغيرها، وكذلك حبس بزاوية الشيخ عمر بن صالح بأوقروت المختص بعمال الزاوية القائمين على شؤونها يقتسمون دخله لإعالة أسرهم لقاء عملهم بالزاوية، ومنها ما هو مختص بالإضاءة والإنارة كحبس بزاوية ببني مهلال يعرف بحبس "أجلد انتفتيلت" أي بستان الفتيلة، وتصرف عائداته قديماً لشراء الفتيل والزيت للإنارة، واليوم تصرف في شراء المصابيح واللوازم الكهربائية، ومنها ما هو مختص بتزكية النفس والتربية الروحية، وذلك كحبس بزاوية الحاج بلقاسم الذي هو تحت يد عائلة بن الشيخ، هذا الحبس يُعرف بجنان الذاكرين تصرف عائداته سنوياً على المصلين الذين يحافظون على الذكر بالمسجد للمحافظة على تلاوة الأوراد(عبد الرحمان الجوزي، د.ت.ن، ص15)

ثالثاً. علاقة فورارة بالحواضر العلمية الكبرى:

لإظهار المكانة العلمية لأي منطقة لابد من استظهار دورها بين الحواضر ومدى تفاعلها معها، فهي علاقة تأثير وتأثر فيما بينها، وخاصة إذا كانت هذه الحواضر سببا مباشرا في خلق الحراك العلمي بالمنطقة، فهل استطاعت فورارة بناء شخصياتها وميزتها ومكانتها العلمية الخاصة أم بقيت دائما تحت تبعية وتأثير الحواضر الأخرى الخارجية والداخلية، وكيف كانت هذه العلاقة العلمية وما هي انعكاساتها؟.

1.الحواضر المحلية: كانت حواضر بجاية وتلمسان والجزائر وتوات مرجعية يلجأ إليها طلبة العلم من فورارة، وبفضل تأثيرها اكتسبت المنطقة شخصيتها العلمية، وبرز لها علماء متخصصون لا يقل شأنهم عن كبار علماء الحواضر الأخرى، تكونوا في المدارس المحلية في توات الكبرى كتنبلان وملوكة وتمنطيط ثم أولاد سعيد، وأوقروت، وتزلالغت، واقسطن، والمطارفة وغيرها، ومن نَمَّة أدَّى الازدهار العلمي في الإقليم التواتي عامة إلى ظهور وجوه علمية جديدة وبارزة، كأمثال الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري، والعلامة الفقيه مولاي عبد العلي بكالي، والقاضي محمد الطاهر الفاعوني، والأديب الشيخ محمد بن أْب المزمري، والفقيه محمد بن أحمد المسعدي وغيرهم. وتولد تنافس علمي بين فقهاء المنطقة وغيرهم من فقهاء العالم الإسلامي، ونستشهد بالعلاقة بين الشيخ أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري وشقيقه الشيخ عبد الحكم بالعلامة المجاجي الجزائري محمد بن علي بن بهلول مفتي إفريقية المتوفى عام 1008هـ/1599م. (عبد الرحمان الجوزي، د.ت.ن، ص108) ومما يُوحى بتوطد هذه العلاقة تلك المرسلات الخاصة بالفتوى وأحكام القضاء الشرعية التي كانت تتردد بين الطرفين بفضل شيوخ حققوا حلقة الوصل والواسطة منهم سعيد بن إبراهيم المشهور باسم قدوره والفقيه الثائر ابن أبي محلي السجلماسي (ابن أبي محلي السجلماسي، ص267) والشيخ عبد القادر بن محمد والشيخ أبي القاسم الفجيحي والشيخ سعيد المقرئ التلمساني الذين كانوا بمثابة همزة الوصل بين الشمال والجنوب.

العلاقة مع حاضرة تلمسان: ظهرت دولة بني زيان إلى جانب الدولتين الحفصية، والمرينية، على أنقاض دولة الموحيدين التي انشطرت إلى دويلات ثلاث، وكانت هذه الدويلات تغالب بعضها بغية السيطرة وبعث مجد الموحيدين باسم الغالب الجديد، وبالرغم من الصراع السياسي إلا أن المنافسة شملت وجها محموداً إذ تسابق المرينيون والزيانيون في استقطاب العلماء، والفقهاء، والأدباء، وأجزلوا لهم العطايا، وقربوهم من مجالس الحكام، ورفعوا من شأنهم، وهو ما أدى إلى تسارع ازدهار الحركة العلمية، فكان السلطان أبو تاشفين مولعاً بالفن والعمران، والأمير أبي عبد الله بن عثمان بن يغمراسن فقيهاً، وأبو حمو موسى الثاني كان شاعراً وأديباً، وخلال الاحتلال المريني لتلمسان أنشأ أبو الحسن المريني مدرسة العباد سنة 748/هـ 1348م إذ عرف عنه أنه كان فقيهاً وعالماً، ومن الصدق أن لجأ الأمير أو السلطان المهزوم الفار من تلمسان أبو حمو موسى بن عثمان الزياني الذي حكم مابين 697 و718/هـ 1298 و1318م إلى منطقة قورارة في أرض توات، وبقي بها بعدما هزمه السلطان المريني الذي احتل تلمسان عبد العزيز بن أبي الحسن، ولم يعد إلى تلمسان إلا بعد وفاة هذا الأخير، (عبد العزيز الفشتالي، 1972، ص74) هرب إلى بوسمغون حيث أراد تجديد مقاومته لكنه انهزم وفقد كنوزه وحريمه وفر إلى تيقورارين. (A.G.P. Martin, 1903, p112)

بحكم هذا التقارب فقد كانت تلمسان قبلة الطلبة من توات وقورارة لينتهلوا من العلوم في مدارسها العامرة، المدعمة بتزايد العلماء الوافدين من أرض الأندلس التي استولى عليها الأسبان، وضيقوا على المسلمين ليدفعوهم إلى الهجرة، خاصة بعد 1492م تاريخ ضياع آخر معاقل الإسلام بالأندلس، وكان الأندلس حضارة عامرة زاهرة، امتدت سبعة قرون من الزمن، برع فيها المسلمون في تقفي آثار التحضر الإنساني وصنعوا أمجادهم، لذا كان الوافدون الأندلسيون على تلمسان وغيرها من بلدان المغرب عامة كنوزا عامرة، جلبوا العلوم، والصنائع، والحرف، والعمارة الهندسية الراقية، وأسبعوا على المجتمع سمة النظام والرقي، كما أن هناك عامل آخر يتمثل في الرحلات نحو المشرق الحجية والعلمية، التي أسهمت في جلب أمهات الكتب كمختصر ابن الحاجب في الفروع الذي جلبه إلى المغرب أبو علي المشدالي المتوفى سنة 646/هـ 1248م، ومختصر خليل الذي جاء به الفقيه محمد بن الفتوح التلمساني المتوفى سنة 818/هـ 1415م، وبفضل الاحتكاك والتقاطع بين طلبة العلم المغاربة في مدارس تلمسان، والقرويين بفاس، والأزهر الشريف، يمكن اعتبار العهد الزياني بالمغرب الأوسط من أكثر العصور ازدهارا وتأثيرا على الحركة العلمية بمنطقتي قورارة وتوات. (مبروك مقدم، 2011، ص47).

لم يكن الاحتكاك الفكري العلمي وحده وجها لهذه العلاقة بل كان للعامل الاقتصادي دور فاعل خاصة ما تعلق بالتجارة البنينية من خلال طريق القوافل الرابط بين تلمسان وبلاد السودان مرورا بمنطقة قورارة، كان له دور كبير وهام في تفعيل هذا الترابط، حيث اتخذت القوافل لمسلكها هذه الطريق الأمانة والمزدهرة، فكانت تضرب عصفورين بحجر، تؤمن لنفسها الأسواق العامرة لبيع العروض التي تحملها، كما ينضم للقافلة تجار كثر، حيث تزيد من طولها وقوتها، وتظهر مهابتها لإخافة الطامعين، وكانت قافلة المقرّي المشهورة القادمة من تلمسان تجمع تجار منطقتي توات وقورارة وتلمسان، خاصة وأنهم يتحدثون بلسان واحد من خلال الانتماء المتمثل في قبيلة زناته البربرية وبالتالي فهو دعم تحكمه الإثنية القبلية والمصلحة الاقتصادية. (Reda Brixi, 2013, page103)

ومن العوامل الهامة أيضا في هذه العلاقة ما وجدته من خلال رحلة محمد بن مسايب الحجية، حيث أظهر الكاتب في نصها مكانة هامة للشيخين أحمد بن يوسف الملياني وعبد الرحمان الثعالبي (BEN CHENEB, 1900, page 259) وكلاهما له مكانة عند سكان وعلماء المنطقة، فبلا شك فمن خلال زيارتهم يحدث الاحتكاك بين علماء المنطقتين، وفي البستان لابن

مريم المليتي قصة وقعت للشيخ عبد الله بن منصور الحوتي بن يحيى بن عثمان المغراوي، الذي كان معاصراً لسيدى أحمد بن الحسن الغماري، وهذا الأخير كان يوصي به أصحابه ويصفه بالساقية، يروي عنه بعض جيرانه في درب الأندلسيين قوله أنه سافر إلى الصحراء قاصداً بلاد السودان بلغ في طريقه قصر تيفورارين، وهي المنطقة التي تشمل اليوم منطقة تيميمون، فلم يجد شعيراً ليشتريه كعلف لخيله، طلب منه رجل الجمل والحصان ليذهب بهما إلى الشط الظهراني ويشترى منه الشعير وكان على مسافة يومين من الشط الظهراني، عاد الرجل ليلاً راكباً الحصان لكنه فقد الجمل سأله عبد الله عن الجمل فقال له ضاع مني، ورد عليه لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا أن الجمل وجده في الصباح عاد بمفرده (ابن مريم، 2014، ص266).

فحالات المنطقة بتلمسان فرضها منطق العبور كمر وطريق نحو بلاد السودان كما سبق، ومكان للتزود والاستراحة، وبلا شك المنطقة استفادت كثيراً من ذلك لتكوين حضرتها العلمية بقدم العلماء المسافرين من وإلى بلاد السودان ومن أصقاع مختلفة، نذكر كذلك مراسلات العسكوني من تنميط في شأن اليهود بتوات مستفتياً علماء تلمسان في نازلة اليهود كما أوردها الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، 1981، ص214)، وفي هذا اعتراف بالفضل والمشخة لعلماء البلاد، لكن الحاضرة التلمسانية بدخول الأتراك إليها تراجع وهجها العلمي لصالح الحاضرة الجديدة فاسكانت تنافس تلمسان في اكتساب مكانتها العلمية من خلال الاهتمام بالمدارس، واستقطاب العلماء، وقد هاجر الكثير من علماء تلمسان البارزين حينها إلى فاس، ومعهم طلبة العلم من شتى الأنحاء خاصة طلبة توات وفورارة، يصف أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ تلمسان بعد ما أصبحت في يد الأتراك العثمانيين بنحو ثلاثون سنة، فيقول: "أن الحاضرة بدأت تفقد أهميتها العلمية والسياسية، وهاجر الكثير من علمائها وأدبائها، وشرائها نحو فاس التي كانت مع تلمسان كفرسي رهان يتنافسان الريادة مدنياً وسياسياً وحضارياً" (أحمد بن محمد المقرئ، 1983، ص7).

العلاقة مع حاضرة توات: في ترجمة وردت في مخطوط "إعلام الإخوان بأخبار بعض السادات الأعيان" حول شخص عبد الحق بن عبد الكريم بن محمد البكري، أين كانت وصية والده لأمه أن مات قبلها، عليها أن لا تمنع أبنها من الذهاب إلى الحاج أبو أحمد البوبكري الجزولي صاحب تيلكوزة بتركوك، وهي من قرى فورارة إذاً بعث في طلبه يرسله إليه، وبعد موت الوالد بعث الشيخ في طلب الابن عبد الحق بن محمد وهو صغير، أرسل إليه رسولاً من قبيلة المحارزة ومع الرسول كتاباً لأخويه يطلب فيه تمكين الابن للرسول، وأعلمهم أن والده ترك له عنده أمانة، وخشية اقتراب أجله فهو يطلبه ليسلمه أمانة أبيه، توجه الأخوة إلى أهم لإبلاغها عن طلب الشيخ ومشاورتها، فقالت لهم نعم إن والده قد أوصاني أن لا أمنعه من الذهاب إلى الشيخ الحاج أبو أحمد إذا طلبه، فسلموه للرسول، وذهب به، ولما وصل تيلكوزة تسلم الشيخ الطفل وجعل الزيد بين يديه، أمراً الطفل بلعقه، ثم أمر أحد أبنائه أن يخرج بالطفل ليضعه وحينها توفي الشيخ مباشرة، (الحسن البكري التمنيطي، د س ن، ص27) ورغم كون القصة من قصص الكرامات لكنه إشارة واضحة للعلاقة بين بيوتات فورارة وتوات من حجم الثقة المتبادلة والاعتراف الواضح بالفضل بين المنطقتين، كما أن طرفاً القصة من الأسر العلمية العريقة بالمنطقتين، فالأسرة البكرية غنية عن كل تعريف، ودورها العلمي بارز في منطقة توات انطلاقاً من مركزها العلمي بتنميط، ولها علاقات وطيدة بفورارة، فالجد البكري تلميذ محمد بن علي النحوي الوفروتي، وهذا الأخير بدوره تلميذ والد البكري الشيخ عبد الكريم بن محمد الذي حملة وصية لأولاده بعد موته، وهو ما فعله مع الابن الذي قرأ عليه وصية أبيه بحضرة الشيوخ سيدي علي بن حنيني الزجاجوي، ومحمد بن عبد السلطان، وعلي بن أحمد بن عيسى الوفروتي، وعبد الرحمان التزلالغتي، والحاج أحمد الأغياتي، وكلهم من تلاميذ الشيخ محمد بن علي النحوي، (عبد الحميد

بكري، 2007، ص276) وتخرج على يديه الكثير من الطلبة الذين سبق ذكرهم، والقصتين من وصايا الشيخ عبد الكريم بن محمد لشيوخين عالمين من منطقة قورارة بتبليغ أمانته لأبنائه، فأخذ الشيخ عبد الحق بن عبد الكريم بن محمد البكري العلم والطريقة عن شيخه أبو أحمد الجزولي، بينما أخذ الشيخ سيد البكري العلم والطريقة عن شيخه محمد بن علي النحوي، كما نجد في الأثر علاقة مصاهرة أيضا فهاهو الحاج عبد الله بن البكري المتوفى عام 1721/هـ1133م وقبره بتيميمون، ترك ولدا اسمه محمد بن عبد الله البكري صغيرا في كفالة أمه بتيميمون عند أصهاره من عائلة حمو الزين الشهيرة في المنطقة، وهي من الأسر الغنية التي كان لها دور في تأسيس المدينة، كما يذكر السيد ضيف الله بن محمد بن أب المزمري في رحلته أن السيد محمد بن إبراهيم التمنيطي قال له "إن أهل تيميمون عندهم قبل أبيك قبر الحاج عبد الله ثم أبيك"، وهنا يشير إلى والد السيد ضيف الله محمد بن أب المزمري الذي توفي سنة 1747/هـ1160م وهي نفس السنة التي توفي فيها الجنطوري أيضا، وعندهم كذلك قبر السيد عبد الله بن البكري التمنيطي المتوفى سنة 1721/هـ1133م. (الحسن البكري التمنيطي، مخطوط، ص26)، والواقع يشير إلى تداخل وثيق بين المنطقتين فلا تكاد تقرب مبحثا مهما كان بسيطا ألا وتجد قورارة حاضرة جنب توات، علاقة تمتد لقرون من الارتباط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، فكثير من الأسر تمتد جذورها إلى المنطقتين، ناهيك عن العلاقات العلمية التي جسدها تواجد علماء كان لهم دور فاعل في صنع المجد العلمي للمنطقة وأقصد بالذكر، الشيوخ محمد بن أب المزمري والجنطوري والأسرة البكرية التي ارتبطت بالمنطقة علميا واجتماعيا، وكذلك محمد بن علي النحوي الوقروتي خريج مدرسة تمنيط، وبعده سيد البكري التي تتلمذ عنده بأوقروت فالتلميذ يرد جميل شيخه، وتبقى الأسرة البكرية العريقة خير مجسد لهذه العلاقة، التي يقول فيها التزلغتي الجوراري واصفا صديقة سيد البكري.

بِسْمِ الْإِلَهِ اِبْتِدَائِي أَوْلَا وَبِهِ تَوَاطُنَةٌ
تَهْدِي السَّلَامَ لِمَنْ كَانَ اِشْتِيَاقِي لَهُ
أَغْنِي اَلْحَبِيبَ اَلَّذِي دَامَتْ مَوَدَّتُهُ
لَقَوْلٍ فِي النَّظْمِ اِبْدَاهَا
حَتَّى جَرَى اَلدَّمَعُ مَا بِالْأَشْوَاقِ مَجْرَاهَا
مُحَمَّدَ اَلْبَكْرِي بَدْرَ اَلْوَقْتِ قَاصِبِهَا

2.العلاقة بين قورارة والحواضر الإسلامية:

لقد تتلمذ عدد من شيوخ المنطقة على يد علماء كثر من مدارس مختلفة في المغرب وتونس ومصر والحجاز، فقد أخذ القاضي الشيخ أبو المكارم عبد الكريم بن أحمد بن محمد المسعود عن الشيخ محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي، وكانت بين قورارة وفاس محاورات ومراجعات فقهية في ميادين فتوى النوازل، كما أخذ الشيخ أحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري عن الشيخ أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار الفجيجي، ولمصر شأن خاص باعتبارها طريق الحج مثنى الشاذلي، وأبو العباس المرسي وهما من أعمدة الشاذلية، ناهيك عن الأزهر الشريف خاصة في عهد الإمام الباجوري الذي صادفنا ذكره كثيرا، ورد اجتماع الشيخ عبد الحكم الجوراري بالشيخ سالم السنهوري مفتي الديار المصرية والمناقشة الشهيرة حول حرمة الدخان المستحدث القادم من العالم الجديد أمريكا، ومثار الجدل أحدثه ابن أبي محلي الذي ابتلي بتعاطيه، حتى أنه كتب في ذلك مراسلات جادل بها العلماء معظمها محتواة في مؤلفه الإصلييت الخريت في قطع بلعوم العفرية(عبد المجيد القدوري، 1991، ص95)، نذكر كذلك القاضي محمد بن أحمد عبد الله بن عبد الكريم الذي ظفر بتزكية علماء عصره بمصر بعد أن أقنعهم بالحجة العلمية، حتى لقبوه بالجوزي لغزارة علمه وتشبيها له بالعلامة الشهير ابن القيم الجوزية، أما بلاد الحرمين مكة المكرمة والمدينة فقد طالعنا كثيرا من أخبار العلماء القوراريين الذين توافدوا عليها طلابا وحتى مدرسين، ومن غرائب القصص ما فعله الشيخ محمد بن إسماعيل الجوراري بإهداء مكتبته العلمية للوقف الشريف في المدينة المنورة، هذه المكتبة التي جلبها من اسطنبول كهدية من وزير

عثماني(عبد الله بن محمد العياشي ، 2006، ص107)، التقى معه في بغداد أثناء زيارته ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وللرحلات الحجية دور في خلق الرابطة الروحية الدينية فلا يمكن أخفاء حجم التعلق بالمكان لأنه موضع الحرمين مثوى الحبيب المصطفى محمد، تهفو إليها قلوب المسلمين حجاجا على اختلاف أصنافهم علماء وغيرهم، استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وها هو القاضي محمد عبد الله بن الجوزي في قصيدة من نواذر الأدب الفصيح في قورارة مكتوبة بالغة العربية الفصحى مرتبة المراحل والأجزاء حسب الرحلة، والقصيدة تأثرت بمكانة كاتبها الفقيه المتمكن من اللغة والمدرس الموجه للمتعلمين، فضلا عن مهنته كقاض(قاضي قورارة حج إلى بيت الله الحرام سنة 1263/هـ1847م) إذ غلب عليها الطابع الإرشادي التعليمي بغية إرشاد الحجاج وتعليمهم مناسك الحج، واحتوت وصفا لبعض الأماكن، وذكر أهم الشخصيات التي رافقت ركب الحج التواتي يفتتحها بقوله:

حَجَّجْتُ وَرَبِّيَ اللهُ مَحْمُودٌ مَشْكُورٌ وَبِالْفَضْلِ أَرْجُو أَنْ حَجِّي مَبْرُورٌ(خزانة آل الجوزي، مخطوط، د.ر).

ونماذج الرحلات الحجية موجودة مكتوبة بالشعر الفصيح والدارج، وهي خير دليل على وصف العلاقة بين المنطقة وأرض الحرمين، هذه العلاقة الأزلية التي لا تحتاج تفسيراً ولا توضيح، ومن رحلة أخرى كتبت في قصيدة مجهولة المؤلف باللسان الدارج القريب من الفصيح تستشف الشوق والارتباط بأرض الحرمين وقد عنونت باسم الشوق يقول فيها صاحبها:

**اعزَمُ يَا مَنْ تَعَزَّمُ صَفِيَّ نَيْتِكَ وَأَمْشِي
وَأَنَا عُدِي نُرُورُ النَّبِيِّ قَبْلَ مَا نَهَرَمُ وَنَشِيبُ
إِلَّا مَا زَرَّتِ النَّبِيَّ بَاشٌ تَطِيبُ أَعْمَالِكَ
لَا خَيْرَ فِي صَحْتِكَ وَلَا بَرَكَهَ فِي مَالِكَ**

القصيدة كاملة تلقى في تقليد سنوي أثناء خروج الحجاج في قصر زاوية سيدي بلقاسم تيميمون، كتبت باللسان العربي الدارج، مجمل ما جاء فيها هو الحث على عقد العزم والنية لزيارة الحرم والوصول إلى المصطفى صل الله عليه وسلم، بالرغم من الصعوبات وقلة الحيلة وأعمارنا فداء له، ومن لم يؤدي الزيارة لا خير في صحته ولا بركة في ماله، والقصيدة تظهر حجم الارتباط والشوق لأرض الحرمين وهي خير دليل على العلاقة الوثيقة.

رابعاً. نتائج البحث: من خلال هذا البحث استخلصنا النتائج التالية:

- المجتمع القوراري تشكيلة من أقوام، وأجناس، وأعراق، جمعت بينهم الرقعة الجغرافية، والمصالح المشتركة بينها وفرت أجواء الأمن والتعايش، فحصل الازدهار والتطور وكان لموقعها الجغرافي انعكاس سلبي وإيجابي، فالسلبي منها جعلها محل أطماع القوى المحيطة بها، وعرضها لنكبات الغزو والاحتلال، أما الجانب الإيجابي يتمثل في كونها نقطة عبور للقوافل التجارية، مما أسهم في ازدهار التجارة ونشأة التمدن.

- الحراك الثقافي والفكري للمنطقة انعكاس للواقع السياسي، والثقافي، للمغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة، فاضطراب البلاد حول طرق تجارة القوافل نحو قورارة، التي أصبحت محط رحال العلماء، والتجار، الذين كان لهم الأثر البالغ في تفعيل الحراك العلمي، كما أن الصراع السياسي بالمنطقة ساهم في تفعيل حركة التأليف ووزارة الإنتاج العلمي، فكان الجدل العلمي من دواعي التنافس وكثرة الكتابة، وتنوع التأليف، وللبعد القلبي أثر في تفعيل الحراك الاقتصادي والفكري كقرب قبيلة زناته البربرية لحماية مصالحها وإظهار سطوتها على طريق القوافل.

- إدراك الأهمية الكبيرة لكتب النوازل الفقهية في التأصيل للكثير من الحوادث التاريخية، ناهيك عن الواقع الاجتماعي للمنطقة، ولكونها تحتوي فتاوى فقهية هامة تتعلق مباشرة بالواقع المعاش، لقيت اهتماما واسعا، حيث نجدها منسوخة في عدة مكنتات، وفي حالة جيدة، مضمونها واضح

يحتوي نوازل فقهية من واقع المنطقة مباشرة، لذا اعتبرها من أهم المصادر التي تؤصل تاريخيا للفترة.

قائمة المراجع:

1. بالعالم محمد باي(2015)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، د.ط، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر.
2. بكري عبد الحميد(2007)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
3. بلبل رشيد(2008)، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون، تر: عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث، الجزائر.
4. جعفري أحمد(2007)، رجال في الذاكرة وفتات تاريخية في أعماق الذاكرة التواتية محمد بن أبّ المّزمرى، ط2، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر.
5. الجمعية المغربية للبحث التاريخي، (د.ت.ن) الرباط والزوايا في تاريخ المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
6. ابن خلدون عبد الرحمن(2000)، تاريخ ابن خلدون " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، مر: سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ج7.
7. بن زايد محمد السالم(2012)، ايزلوان نتقورارين، محافظة المهرجان الثقافي أهليل تيميمون، ادرار، الجزائر.
8. سعيد عيادي(2011)، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، ط1، عاصمة الثقافة العربية، تلمسان.
9. السلاوي أحمد الناصري(2007)، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ط1، دار الكتب العلمية، ج1.
10. عبد العزيز محمد عادل(1987)، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
11. العياشي عبد الله بن محمد(2006)، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، مج 1 و2.
12. غيتاوي التوهامي(2013)، الفتح الميمون في تاريخ قورارة وعلماء تيميمون إقليم توات ولاية ادرار، د.ط، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر.
13. فرج محمود فرج(2007)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
14. الفشالتي عبد العزيز(1972)، "مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء"، تح: عبد الكريم كريم، د ط، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب الأقصى.
15. القدوري عبد المجيد(1991)، ابن أبي محلي الفقيه التائر ورحلة الإصليبت الخريت، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، المغرب الأقصى.
16. الفسطني محمد المحفوظ(2012)، روض الزهر اليناع على مشروح المقنع في علم كان لأبي مقرع، تحقيق مولاي عبد الله اسماعيلي، ط1، دار مقامات للنشر، الجزائر.
17. كريم عبد الكريم(2006)، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب.
18. ابن مريم(2014)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح: عبد القادر بوباوية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
19. المغيلي محمد بن عبد الكريم(2011)، مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة، تح: مبروك مقدم، مج1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، عاصمة الثقافة العربية، تلمسان.

20. مقنونيف شعيب(2003)، مباحث في الشعر الملحون الجزائري(مقاربة منهجية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
21. المقرري أحمد بن محمد(1983)، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرئين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب.
22. الوزان الحسن(ليون الإفريقي)(1983)، وصف إفريقيا، ط2، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2.
23. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(1981)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2.
- 24.A.G.P. Martin, (1908) Les Oasis Sahariennes (Gourara - Touat - Tidikelt), Edition de l'imprimerie Algérienne.
- 25.A.G.P. Martin, (1923) quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de1894 a 1912, librairie Félix alcane, Paris .
- 26.Bencheneb, Itinéraire de Tlemcen a la Mekke par Ben Messaib, (1900) Revue Africaine, volumn44 .
- 27.G. Mercadier et autre, (1946) L'oasis rouge, Impressions Sahariennes, Alger .
- 28.Jean Bisson, (1955) Le Gourara Etude De Géographie Humaine université d'Alger, institut de recherches sahariennes, mémoire n° 3 .
- 29.Redha Brix, (2013) la route du sel de Tlemcen au bilad es- Soudan, éditions Ibn khaldoun, Tlemcen .
- المقابلات الشفوية**
30. الصوفي عبد المالك(2016)، شيخ زاوية سيدي الصوفي، قصر بادريان تميمون ولاية ادرار، موضوع المقابلة: الحراك العلمي للمنطقة إبان القرن 11هـ.